

الكشاف

" ما أكثر الناس " يريد العموم كقوله : " ولكن أكثر الناس لا يؤمنون " هود : 17 ، وعن ابن عباس B ه . أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين " ولو حرصت " وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم " وما تسألهم " على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار " إن هو إلا ذكر " عظة من ا " للعالمين " عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله .

" وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " .
" من آية " من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده " يمرون عليها " ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها . وقرئ : والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها : خبره وقرأ السدي والأرض بالنصب على : ويطؤون الأرض يمرون عليها . وفي مصحف عبد ا : والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر .
" وما يؤمن أكثرهم با " إلا وهم مشركون " .

" وما يؤمن أكثرهم " في إقراره با وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن : هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان . وعن ابن عباس B هما : هم الذين يشبهون ا بخلقه .

" أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب ا أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون " .
" غاشية " نقمة تغشاهم . وقيل : ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل : الصواعق .
" قل هذه سبيلي ادعوا إلى ا على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان ا وما أنا من المشركين " .

" هذه سبيلي " هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي . والسبيل والطريق : يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله : " ادعوا إلى ا على بصيرة " أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء . و " أنا " تأكيد للمستتر في " ادعوا " . " ومن اتبعني " عطف عليه . يريد : أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون " أنا مبتدأ و " على بصيرة " خبرا مقدما و " ومن اتبعني " عطف على " أنا " إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون " على بصيرة " حالا من " ادعوا " عاملة الرفع في " أنا ومن اتبعني " " سبحان ا " وأنزهه من الشركاء .
" وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون " .

" إلا رجالا " لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون " لو شاء ربنا لأنزل ملائكة " فصلت : 14 ، وعن ابن عباس Bهما : يريد ليست فيهم امرأة . وقيل : في سجاح المتنبيّة . ولم تنزل أنبياء ا ذكرانا .

وقرئ : نوحى إليهم بالنون . " من أهل القرى " لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة " ولدار الآخرة " ولدار الساعة أو الحال الآخرة " خير للذين اتقوا " للذين خافوا ا فلم يشركوا به ولم يعصوه . وقرئ . " أفلا تعقلون " بالتاء والياء . " حتى إذا استيأس الرسل وطنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين " .

" حتى " متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل : " وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا " فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر " وطنوا أنهم قد كذبوا " أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم : رجاء صادق ورجاء كاذب . والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من ا وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب . وعن ابن عباس Bهما : وطنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم ا من النصر وقال : كانوا بشرا وتلا قوله : " وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر ا " البقرة : 214 ، فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالطن : ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية . وأما الطن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل ا الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزّه عن كل قبيح ؟ وقيل : وطن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي : أخلفوا . أو : وطن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي : كذبتهم